نعمة "العطاء" وفرحة البسطاء!

أدخل إلى محل "الألبان" الشهير، أختار الأصناف التي أريدها سريعًا كعادتي، أذهب إلى الثلاجة فلا أتذكر هل طلب مني الأطفال "رز بلبن" أم "مهلبية"؟ أحسم قراري وأحضر علبة من كل نوع بعدد الأطفال لأتجنب الصراعات، ألاحظ طفلة صغيرة بملابس بسيطة تقف أمام الثلاجة ... أنشغل بمشتريات أخرى وأعود لأجدها واقفة كما هي! ظننتها لا تستطيع فتحها فذهبت لأساعدها، سألتني ببراءة: "هي العلبة بكام يا عمو؟!"، لأول مرة ألاحظ أنني لا أعرف سعرها رغم أنني أشتريها كثيرًا! نظرت للرف ووجدت السعر مكتوبًا عليه "اتنين جنيه ونص"، أخبرتها فنظرت في قبضة يدها وسكتت!! سألتها: "هل أحضرها لكِ؟". قالت: "لا"، وابتسمت بخجل وشكرتني! نظرت لقبضة يدها وفهمت الموقف، كانت تقبض على " نصف جنيه" فقط بأصابعها الصغيرة! فكرت لثواني وذهبت للبائع الذي يعرفني وشرحت له الموقف وطلبت منه أن يأخذ منها ما معها ويعطيها العلبة بدون أن يحرجها وسأدفع له الفرق، تأثر ورفض تمامًا أن يأخذ مني أو منها وأعطاها

العلبة، كانت الصغيرة تحتضن العلبة بسعادة ورضا ووجهها مشرق تمامًا وهي تغادر المحل! أنهيت مشترياتي وصورتها لا تفارق خيالي!

مبالغ بسيطة تحقق أحلام "صغيرة" وتصنع فرحة "كبيرة"! تظن أنهم يحتاجونك؟! صدقني لا، أنت الذي تحتاجهم، فما أعطاك الله ومنع غيرك لأنه يفضلك، ولكنه البلاء والاختبار في رحلة الحياة "القصيرة" ثم السؤال بين يديه في المشهد الأخير المفزع، اللهم إنني أعترف الآن أنني خائف من الوقوف بين يديك والسؤال عن نعمك التي لا تحصى، ولا أدري فعلا كيف سأرد؟! ولا عزاء لي إلا أنني حاولت وما زلت أحاول ... ولكنني "وبصدق" خائف ... خائف جدًّا!

***